محاولة دراسة اسباب ظهور الاسر العلمية مع اشارات للاسر الموصلية القديم

بسام ادريس الجلبي*

مقدمة

ان النمط الأول للانتاج Mode of production كان النمط الاسري الكلي، أي ان أفراد الأسرة الواحدة كانوا يشتركون جميعاً، مع تقسيم العمل Division of Labour حسب الجنس والعمر، في تصنيع "المنتوج Product" لسد الحاجات Needs لأعضاء الأسرة فقط، قبل أن تتطور المركبات الأولية للمجتمع: الأسر لإنتاج "السلعة commodity" لغرض التبادل/البيع، سواء عن طريق المقايضة أو النقود.

وبعد تدجين الحيوان، واكتشاف الزراعة، انقسم المجتمع الى طبقتين انتاجيتين: مربي الحيوان والمزارعين. وعندما تطورت الصناعة، واستبدلت بالخشب والحجر، المعادن في صناعة الادوات والآلات، نشأت طبقة الصناع.

ومع تطور المجتمع، انقسمت كل طبقة انتاجية على فروع او طوائف انتاجية أصغر مع احتفاظ كل طائفة انتاجية بذكرى نمطها الأول، اعني الاسري. فاختصت كل اسرة أو مجموعة من الأسر، في العادة مرتبطة دموياً، في احد حقول الانتاج.

وسنرى ان التخصص الاسري الانتاجي سرى الى حقول أُخر من اصناف الانتاج اللاسلعي أعني الخدمي. مثل الكهانة والتطبيب وغيرهما.

لقد تناول الدارسون والباحثون جملة من مفردات ما تقدم، مثل تقسيم العمل والاصناف Guilds وحصر المهنة المعينة في فئة تجمعها روابط مشتركة، مثل السكن في رقعة جغرافية واحدة، أو الانتماء الى أصول عرقية واحدة. او حصر المهنة في اسرة واحدة، تتوارثها. ولقد تناول الباحثون هذه الظواهر تناولاً تاريخياً

* مدرس . قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

واجتماعياً واقتصادياً، مدعوماً بالتنظير في الضرورات والاهداف والنتائج. غير اني، بقدر علمي البسيط، لا اعرف ان كان قد بحث في امور من قبيل تعليل حصر بعض من المهن الخدمية الذهنية في اسر بذاتها. علماً بانها تشترك مع الانتاج السلعي في اشباع الحاجات الانسانية. فهي قد تؤدي الى انتاج سلع(الكتاب، اللوحة الفنية، الشريط الغنائي مثلاً) فضلاً عن الخدمة(تقديم المعرفة مثلا). وكذلك تشبع الحاجات الذوقية والجمالية الضرورية لتخفيف العناء البدني والنفسي الناجم من عمليات الانتاج. ومن امثلتها: التناغم الصوتي في الموسيقى، والتناغم اللوني في اللوحة.

ان اهمال ادوار هذه الاسر العلمية والفنية، وتجاوز الاشارة الى حالات التوريث المهني فيها، في مصادر علوم: النفس والاجتماع والتاريخ الاقتصادي، دعاني الى دراسة هذا الموضوع، ومحاولة "تنظير" اسباب ظهور الاسر العلمية.
ويتضمن البحث ثلاثة مباحث:(١) نظرات في التوريث المهني الاسري.(٢) محاولة تفسير التوريث الاسري العلمي.(٣) أمثلة من الاسر العلمية الموصلية.
ملاحظة:الرموز ،استعملت كالمعتاد.وانبه(تر)=ترجمة/المترجم.(صن)=المصدر نفسه.

المبحث الأول

نظرات في التوريث المهني الاسري

الآلهة:

يبدو ان اول مهنة في التاريخ البشري خضعت للتوريث الاسري، هي مهنة(الالوهية). اعني الوهية الشعوب القديمة، قبل ظهور الديانات الكتابية/ الساميّة. فبعد استقرار مفهوم الاسرة، في المجتمعات البدائية، وتحديد وظائف كل من افرادها، راح الانسان يُسقط مفاهيمه على الآلهة التي خلقها، ووضعها في

سماء العراق الصافية، وسمح لها ان تنزل الى بيوتها الارضيةالمرتفعة (الزقورات). او صنع لها "مسرحاً" كبيرا على(أولمب) اليونان[١].

ودون الخوض في السلالات الالهية، التي هي ليست من مفردات البحث، سنحيل بعضا منها الى مصدر او اثنين:

العراق القديم:ظ"مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة– القسم الاول:تاريخ العراق القديم"ص٢٤٧–٢٥٤."قصة الديانات"ص٤٤–٤٧.

مصرالقديمة:حول وراثة الآلهة المصرية ظ"قصة الديانات"ص٣–٥.

الصين القديمة:قد تُعد عبادة الاباء والاجداد نوعا من التوريث العبادي الاسري."فإذا مات رجل، عبدَ ابناؤه روحَه،كما عبده احفاده، وحتى ابناء احفاده، واحفاد احفاده عليهم ان يعبدوا ذكراه". ولم يكتف الصينيون بذلك "بل عبدوا كذلك ارواح كبار الحكماء والابطال الوطنيين.وعبدوا بصفة خاصة اباطرتهم الذين كانوا يعتبرون، دائماً مقدسين"[٢].

الاغريق: حول الانساب القرابية لآلهة الاغريق ظ "تاريخ الاغريق وادبهم وآثارهم"ص٨٧–٩٠ "الديانة اليونانية القديمة" الفصل الثالث: اصول الآلهة ص٦٠–٨٣.

الرومان: لم استطع ان اجد علاقة اسرية بين الآلهة الرومانية كثيرة العدد، التي قدرت "بثلاثين الفا. ويشكو –احد المؤرخين– من ان بعض المدن الايطالية كان فيها من الآلهة اكثر ممن فيها من الرجال"[٣].

اليابان القديمة: حول تناسل الآلهة، ظ "قصة الديانات" ص٢٤٧–٢٤٨ ثم تتمة الموضوع ص ٢٥٧–٢٦٠.

الكهنة.. ورجال الدين:

---

[١] لايرى الباحث ضرورة احالة كل مفردة معلوماتية الى مصادرها. بخاصة اذا كانت من اوليات المواد الثقافية.

[٢] قصة الديانات ص١٧٧.

[٣] قصة الحضارة ١٢٥/٩.

العراق القديم: في العهد البابلي "كان كثير من الوظائف في المعبد وراثياً"[١]. كما أن وظيفة الطبقة الاولى من رجال الدين(السحرة) كانت وراثية[٢]. "وكانت مهام المنجم وراثية(وكان هو نسل كاهن مولودٍ من كاهن سليم)، ويجب الاّ يكون فيه عيب جثماني"[٣]. وكان كبار موظفي المعبد البابلي "مثل مار– باني **-mar bani**، وهم اعضاء الاسر النبيلة، او النبلاء المفروضة عليهم واجبات معينة" وحتى "خدم المعبد الذين يعرفون شيركي **Shirke**...من كلا الجنسين... الذين وُهبوا للآلهة، وكانوا لذلك عبيدها. وكان هذا المركز وراثياً"[٤].

مصر القديمة: "إن كثيراً من الوظائف الكهنوتية كانت متوارثة في الاسر النبيلة. وكان النساء يشتركن في الوظائف والاعمال الكهنوتية ايضاً"[٥].

الاغريق: "وكثيرا ما كان منصب الكاهن... وراثياً، ينحصر في أُسر معينة"[٦].

وراثة المهن الأخرى:

العراق القديم: كان الجيش يتكون من اصناف منها "قبائل معينة – كقبيلة ايتواي – اسقطت عنها الضرائب، مقابل تجنيدها بشكل عام"[٧]. وفي العهد نفسه كانت "طبقة الامّانة – الاختصاصيون... الرجال الاحرار الذين يمتلكون مهنة خاصة: كالصيارفة والتجار والموسيقيين والكتبة والحرفيين وغيرهم. وقد انتظم هؤلاء في طوائف تشبه تلك التي عُرفت في القرون الوسطى، وزاولوا نشاطاتهم العملية في اماكن خاصة بهم في المدينة. ودرّبوا الصناع، ونقلوا مهاراتهم لأبنائهم"[٨].

---

[١] بلاد ما بين النهرين:الحضارتان البابلية والاشورية"ص ص ١٦٣، ١٨٢، ١٨٥ على التعاقب.

[٢] بلاد ما بين النهرين: الحضارتان البابلية والاشورية"ص ص ١٦٣، ١٨٢، ١٨٥ على التعاقب.

[٣] بلاد ما بين النهرين: الحضارتان البابلية والاشورية" ص ص ١٦٣، ١٨٢، ١٨٥ على التعاقب.

[٤] عظمة بابل ص٣٠٤.

[٥] مقدمة في تاريخ الحضارات القديمةج٢:حضارة وادي النيل– وغيرها–ص١١٥.

[٦] تاريخ الاغريق وادبهم وآثارهم ص ٩١.

[٧] العراق القديم ص٤٦٣، ٤٦١.(٩) تاريخ فلسطين القديم ص٢٦٢– ٢٦٣.

[٨] العراق القديم ص٤٦٣، ٤٦١.(٩) تاريخ فلسطين القديم ص٢٦٢– ٢٦٣.

فلسطين الكنعانية: "وغالبية المنسوجات كانت تُعمل في البيوت، خاصة في الفترات الاولى من العصر الكنعاني...- و - في الازمان التالية منه، صارت بعض المدن متخصصة في النسيج والصباغة، كما تدل الحفريات في -بعض المواقع- فقد كانت الاوعية المعدنية على اختلافها، والآلات والاسلحة وادوات الزينة المصنوعة من الذهب والفضة، تشكل عناصر مهمة في التجارة الداخلية. وربما كان لمنتجي كل صناعة من الصناعات حيّهم الخاص في كل مدينة فلسطينية خلال العصر الكنعاني"[١].

الرومان:(في آخر الامبراطورية الرومانية الغربية): "إقتفى دقليد يا نوس [حكم ٢٨٤ - ٣٠٥م] خُطى اوريليان **Aurelian**(٢٧٠-٢٧٥م) وأجبر المواطن الروماني على مزاولة مهنة أبيه، وألزمه الخضوع لنظم النقابة التي كان ابوه عضواً فيها"[٢].

فارس الساسانية(٢٢٤- او - ٢٢٦م حتى بين ٦٤٠ و٦٥١م): كانت الطبقة الاولى في المجتمع الساساني وتسمى(شهر داران) تضم ملك الملوك(شاهنشاه). و "الامراء التابعين الذين يحكمون في اطراف الدولة، وحكام الامارات...والذين ضَمِنَ لهم ملك ايران، نظير خضوعهم، الامارة لهم ولذويهم من بعدهم"[٣]. وحل التنظيم الاسري للعائلات السبع الممتازة في النظام الاقطاعي، وهم الطبقة الثانية في المجتمع الساساني والمسماة(واسبوهران **vaspuhran** = ابناء البيوت) يقول المؤلف: "ونجد في ايام الساسانيين، اتباعا للتقاليد القديمة، بعض المناصب تورث بين افراد الاسر السبع الممتازة"[٤].

التوريث عند العرب قبل الاسلام:عندما اشترى جد النبي ﷺ الخامس قصي بن كلاب بن مرة(ت ؟)حق فتح باب الكعبة المشرفة وغلقه من ابي غبشان - سليم بن

---

[١] العراق القديم ص٤٦٣، ٤٦١.(٩) تاريخ فلسطين القديم ص٢٦٢- ٢٦٣.

[٢] الدولة البيزنطية ص٢.

[٣] ايران في عهد الساسانيين ص ص ٨٧، ٩٣. و ظ.ص٩٠-٩٦ وهوامشها.

[٤] ايران في عهد الساسانيين ص ص ٨٧، ٩٣. و ظ.ص٩٠-٩٦ وهوامشها.

عمرو، ساد مكة[١]. وجعل هذا الحق وكذلك الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة في ولده عبد الدار وعقبة[٢]. وكانت السدانة –القيام بأمر الاصنام – وراثية. "وتُعد السدانة من المنازل الدينية والاجتماعية الرفيعة عند الجاهليين. وبيد السادن، في العادة، مفتاح بيت الصنم أو الأصنام. وتكون وراثية في الاغلب، تنتقل في افراد العائلة من الاب الى ابنه الاكبر، او الى غيره من البارزين في الاسرة. وهي منزلة شرف، تُكسب صاحبها جاها". ويُفصل د.جواد علي في ذكر الاصنام والقبائل/الاسر التي تتوارث سدانتها.

مؤرخو الثقافة والتوريث العلمي: ظهرت اسر علمية متخصصة في مختلف مراحل مسيرة الثقافة العربية، ثم العربية – الاسلامية. ولقد تنبه مؤرخونا القدامى، وكتاب التراجم والسير الى ذلك مبكراً. فعند الكلام على شاعر ما، والشاعر في مرحلة انبثاق الحضارة العربية – الاسلامية كان ما يزال محتفظاً بدوره المتصدر في المجتمع الثقافي، او في ثقافة المجتمع، كان كاتب سيرته يعلمنا ان كان ابوه وجده أو ابنه وحفيده شعراء ايضاً. وعنى المؤرخون كذلك بتتبع عملية التوريث –دون ان يسموها– لدى علماء الطبيعة: الطب، التنجيم والرياضيات وغيرها. الاّ انهم لم يحاولوا تعليل هذا التوريث.

وكأمثلة من ملاحظات المؤرخين التوريثية: عن آل زهير بن أبي سلمى الشعرية:

ظ "كتاب الاغاني" ٣١٤/١٠. وعن آل حسان بن ثابت الشعرية: ظ. الكامل للمبرّد ١٥٤/١. وعن آل بختيشوع الطبية: ظ. ابن ابي اصيبعة ص١٨٦ – ٢١٤ وادوارد جي براون "الطب العربي" ص٢٧. ود. كمال السامرائي: "مختصر تاريخ الطب العربي" ٣٨٢/١–٣٩٧. وعن آل ماسويه الطبية ايضاً: ظ. ابن ابي اصيبعة ص ٢٤٢–٢٥٧ و د.السامرائي صن ٤١٤/١–٤٢٨. وعن اسرة العبادي

---

١ تاريخ الطبريص ص٢٥٦، ٢٥٩–٢٦٠.(١٣)المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام٤٢٦/٦.(١٤)صن ص ٢١٣– ٢١٤.

٢ تاريخ الطبري ص ص ٢٥٦، ٢٥٩–٢٦٠.(١٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤٢٦/٦.(١٤) صن ص ٢١٣– ٢١٤.

الطبية ظ – صن ٤٢٩/١–٤٦٦. وعن ابناء موسى بن شاكر الفلكية، الهندسية، الرياضية، الميكانيكية: ظ. "إخبار العلماء"(القفطي) ص ٢٠٨، ٢٨٦–٢٨٧ "الفهرست"(ابن النديم) ص ص ٣٣٩–٣٤٠، ٣٧٣، ٣٧٨–٣٧٩، ٣٩٧. "تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك" ص ص ١٨٧، ١٨٨–١٨٩، ١٩٠–١٩٢، ١٩٤. "شمس العرب تسطع على الغرب" ص ص ١١٨–١١٩، ١٢٤–١٢٧.

المبحث الثاني

محاولة تفسير التوريث الأسري العلمي

هذه محاولات شخصية اردت بها ان اصل الى بذور– ولا أقول جذور– تُفسِّرعمليات "التوريثالعلمي**scientialinheritance**" مستعينا بعلوم الوراثة والنفس والاجتماع. ومن البدهي القول أن(الآخر/المتلقي)هوالذي يستطيع أن يقيس المليمترات التي خطوتها في هذا العمل. ولشدّ ما يرعبني ان اعرف بانني لم أخطُ حتى "نانومترا واحدا =١/مليار من المتر". وهذه بعض العوامل التي تشكل، في رؤيتي، مساعِدات في تفسيرات الموضوع.

١. **الوراثة Heredity:** شهد النصف الثاني من ق ١٩، بعد صدور كتاب "أصل الانواع **Origin of Species**" لداروين عام ١٨٥٩، وتبني نظرية التطور البيولوجية من قبل علماء اجتماع امثال(هربرت سبنسر)(١٨٢٠–١٩٠٣). والنصف الاول من ق٢٠ اثر "اعادة اكتشاف" قوانين مندل عام ١٩٠٠ بعد أن أُهملت منذ ظهورها سنة ١٨٦٥[١]. شهدت هذه الحقبة جدلا محموما بين "الوراثيين" و "البيئيين" حول اثر كل من الوراثة والبيئة في تحديد انواع السلوك والمهارات والميول والقابلية للاصابة بالامراض، وغير ذلك كثير.

يقول وليم د.ستانسفيلد: "فجميع الكائنات الحية ما هي الا نتيجة كل من "الطبيعة" و "التنشئة". حيث تمد المادة الوراثية الكائن "بطبيعته"(أي امكانياته وحدوده البيولوجية). بينما توفر البيئة "التنشئة" الظروف التي تتفاعل مع جينات

[١] علم الوراثة وتطبيقات في تحسين الحيوان ص٢٣.

الكائن لتعطي صفاته التشريحية والكيمياوية الحيوية والفسيولوجية والسلوكية المميزة"[١]. ويميل أغلب الباحثين الى تقارب كل من العامل الوراثي والعامل البيئي في تقديم السمات البيولوجية والسلوكية للكائن البشري. يقول كل من س. دن و ث. دوبزهانسكي: "وتفكير لحظة واحدة يوضح لنا انه ليس بين ما نسميه(صفة وراثية) وبين ما نسميه(صفة بيئية) فاصل واضح. فكل من الوراثة والبيئة تساهم في نشاة كل صفة مميزة من الصفات البشرية"[٢].

ان ما يعنينا، في هذا المبحث، ان نصل الى موافقة علمية على انتقال امور اكثر من الصفات البيولوجية والفسيولوجية من الوالدين الى الابناء مثل الطول، الوان كل من البشرة، الشعر والعينين، وغير ذلك، لتطول امورا اقل وضوحاً مثل الميول والمزاج، كي نستطيع توظيفها في فهم انتقال "صفة" الاتجاه الى علم، أو أي من فنون المعرفة الانسانية، من الاب الى الابن. وبالتالي استثمار هذه المعرفة في تفسير اسباب نشوء الاسر العلمية.

و"الوراثة.. من الوجهة العلمية: انتقال الصفات البدنية والعقلية من الآباء الى الابناء.. طبقاً لقواعد محددة. ولاتقتصر هذه الصفات الوراثية على مظاهر الجسم الخارجية فقط كـ... بل تمتد الى ما هو أعمق من ذلك كـ... أو رجاحةالعقل".

يقول مؤلفا كتاب "الوراثة والسلالة والمجتمع": ان الانسان قد يرث عن ابيه لون العين، وعن امه مزاجها[٣]. ويقولان ايضا: "إن شخصية الانسان، وكذلك صفاته الجسمانية تنتج عن نمو وتقدم تلعب فيهما كل من الوراثة والبيئة دورا هاما –الصحيح مهماً–"[٤].

---

١ الوراثة: المقدمة ص٥ – غير مرقمة –.

٢ الوراثة والسلالة والمجتمع ص١٣.(٤) صن ص٢.

٣ صن ص ٢٩، ٥٣، ٢٢ على التوالي.

٤ صن ص ٢٩، ٥٣، ٢٢ على التوالي.

واخيرا يعلنان: "لقد ضاع كثير من الوقت في النقاش.. عن أي هاتين القوتين اقوى اثراً، واكثر اهمية... الوراثة أم البيئة"[١].

اما اسحاق ازيموف فيقول: "ان الابن يرث ايضا صفات ابيه الاخرى الاقل وضوحاً، مثل الشجاعة والمزاج والمهارات المختلفة"[٢].

ويحسم مؤلفا "الوراثة والسلالة..." الموقف من كل من البيئة والوراثة بالقول: "الطبيعة تقدم عددا كبيرا من الاقفال في حياة كل انسان، بينما تقدم البيئة عدة انواع من المفاتيح. لكل صفة.. نوع خاص من الاقفال التي تجيب وتستجيب لعدد محدد من المفاتيح الخاصة"[٣].

وقد عبّر (باريون جايلدز) عن شبيه ذلك، ولكن بشكل ابلغ واوجز واوضح، بقوله: "الجينات تقدم الاقتراحات. وعوامل البيئة تصدر القرارات"[٤].

٢. البيئة الضيقة: أي(البيت) الذي يولد فيه الطفل ويعيش. وبالبيت نقصد اكواخ القش لقبائل الزولو، والخيام المتهرئة لقبائل دارفور، ونعني به قصر "يلدز" باستانبول، وقصر "فرساي" في ضواحي باريس، وما بين الكوخ والقصر.

وهنا تعنينا العلاقة بين الطفل وادوات الثقافة في هذه البيئة الضيقة التي يعيش فيها الفرد، وتشبع حاجاته البيولوجية والعاطفية والاجتماعية، هذه الامور التي سنستبعدها، هنا، بهدف الدراسة. ولنأخذ مثالين لبيتين متباينين في المحتوى الثقافي.

يفتح طفلنا عينيه، في احد البيتين، بعد ان اخذ يعي الاشياء. فيلحظ ان اباه يترك البيت حتى الظهر وهو يدور على مشايخ بلده يسمع الاحاديث النبوية الشريفة ويدونها. وقريب العصر يمتلأ البيت بالشيوخ. ويبدأ الطفل بسماع: "حدثنا

---

[١] صن ص ٢٩، ٥٣، ٢٢ على التوالي.

[٢] شفرة الوراثة ص١٦.

[٣] الوراثة والسلالة ... ص٤٥.

[٤] التنبوء الوراثي ص٨٩ [وحول دور كل من الوراثة والبيئة ظ: "الوراثة البشرية" فقرة "البيئة والقدرات العقلية ص ص ١٦٤-١٨٥.

فلان عن فلان قال: قال رسول الله ﷺ: "...."، فيقول احد المشايخ "هذا حديث صحيح". وحول حديث آخر يسمع تعليق من مثل "فلان –احد الرواة واه" فيعلق شيخ آخر: "انه حديث ضعيف". وفي حوار حول حديث، ينتزع الاب دفترا من خزانة كتبه، ويبحث عن ورقة، ثم يقول "هاك اقرأ... لقد سمعت عن شيخنا فلان اكثر من الف حديث ببغداد وحمص ومصر".

ينمو الطفل فياخذه ابوه الى مشايخ بلدته ليتعلم فن سماع الحديث. يكبر الفتى فيدور به ابوه البلدان.. ثم يتجه وحده الى بلدان اخر، يسمع الحديث ويرويه. ماذا نتوقع من هذا الفتى ان يصير في قابل ايامه، ان لم يصبح محدثا يفخر بانه لفَّ الدنيا وأخذ عن اكثر من الفّي شيخ، صنّفهم في "معجم شيوخه".

وفي بيت آخر، يدرك الطفل/الصبي ان والده يعمل في صناعة الطب التي تتعامل مع الانسان عندما تسوء صحته، فتحاول ان تعيده الى وضعه الطبيعي. في الصباح يلتقي جموع المرضى الذين يدخلون الى غرفة مليئة بالرفوف تنتصب عليها قناني الادوية. وعلى المنضدة تتبعثر ادوات وانابيق ومشارط.. وغيرها، استطاع الصبي، لشدة التصاقه بها ورؤيته اياها، أن يعرف وظيفة كل أداة.

ينمو الفتى/الصبي فيرجو اباه ان يسمح له ان يصاحبه في غرفة الفحص والعلاج. يفرح الاب، وتبدأ اولى الدروس العملية على يد الاب، الذي لايكتفي بهذا، بل يرسل ابنه الى أشهر الأطباء من اصدقائه ليتتلمذ عليهم. وعندما تشعر الهيأة الطبية بأهلية الشاب لمزاولة صناعة الطب، تعقد له اختبارا عاما، ينتهي بمنحه اجازة تعلنه طبيبا مؤهلا رسميا.وهكذا نرى ان الطفل/الفتى/الصبي/الشاب قد تدرج في تعلم الطب حتى دون قصد. واصبح طبيبا(رغما عنه) ولكن بموافقة ورغبة منه.

تكلمنا عن مثالين عمليين، غير اننا لم نتطرق الى العوامل المساعدة، بمعنىً آخر لم نُنَظِّر لعملية التصاق الابن بأبيه – بمهنة ابيه:

١– التقليد **imitation**: هو من الناحية التعريفية "القيام بعمل ما، عقب مشاهدة شخص آخر يقوم بالعمل نفسه، حيث تسترشد العملية في محاكاة العمل المشاهَد،

والنسج على منواله، واقتفاء خطواته"[١]. وفي ظني ان التقليد واحد مما اسميه باشباه الغرائز، مهمته ضبط وتطوير المسيرة البشرية، وعدم ارجاعها الى نقطة الانطلاق الاولى. فبواسطة التقليد يتعلم الفرد اولى اساسيات الفسيولوجيا والاجتماع(المشي والكلام مثلاً). وفي قابل الايام، سيساعد التقليد/المحاكاة الفرد في الاسراع في عملية التأقلم مع انواع المجتمعات التي سيعيش فيها: الاسرة، المدرسة، الوظيفة... الخ. والفرد/الابن، في صغره، يكون والداه اكثر المتعايشين معه. لهذا فان الاب سيكون مصدر الالهام للطفل، أي موضع التقليد. وبخاصة اذا اعتبرنا ما يلي:

٢- الصورة الذهنية المثالية للاب **Father Imago**: وهو مصطلح وضعه فرويد، وعنى به: "صورة ذهنية مثالية، او تخيل مثالي عن شخص كنا نحبه ايام الطفولة، عادة ما يكون احد الوالدين، ومازلنا نقدسه. واحيانا ما يزال له اثره الملحوظ في حياتنا من بعد، كنموذج نقتدي به، ويشدنا اليه، ليحفظنا من التورط والانزلاق"[٢].

٣- العلاقة العملية بين الاب والابن: في العادة، اذا كان الاب في مستوى علمي ووظيفي متميز، يميل لاشعوريا، ان يقتدي ابنه به. وقد لاحظنا في المثالين المفترضين ان الاب، في كلا الحالتين، كان يعد الابن ليترسم خطاه –خطى الاب– من حيث التوجيه الايجابي والتدريب العملي. وبمرور الوقت، وبتفاعل العلاقة بين الاب والابن، منظورا له من وجهة النقطتين السابقتين، سيشعر ابن الطبيب، مثلاً، ان الطب صار(حقاً) له يرثه عن أبيه، و(واجباً) يتحتم ان يحافظ عليه، اكراما لذكرى الاب. وبهذه الصورة نتقدم في تفسير اسباب ظهور الاسر العلمية، لان ابن الطبيب أو الفقيه، الذي غدا طبيبا أو فقيها، سيواصل تمثيل الدور نفسَه مع ابنه. وقبل أن ننهي هذه الفقرة، أود الاشارة الى مثال معاصر. فعالمة النفس(انّا فرويد) ابنة مؤسس مدرسة التحليل النفسي **S.Freud**(١٨٥٦-١٩٣٩)

---

[١] موسوعة علم النفس ص ٢٧٢.

[٢] موسوعة علم النفس والتحليل النفسي I.384.

تناولت بالضبط تلك المواضيع التي انصرف اليها والدها في سنوات عمره الاخيرة: مجموعة ردود الافعال أو الحيل اللاشعورية للدفاع عن التوازن الشخصي/النفسي، فاصدرت كتابها المهم "الأنا وميكانيزمات الدفاع"[١].

٣. **التفسير الاجتماعي:** اذا تجاوزنا الاستثناءات، فان الطفل، في العادة، يولد ويعيش في اسرة بسيطة(أي متكونة من الاب والام والاخوة، ان لم يكن هو الطفل الاول). والاسرة/البيت لاتقدم للطفل حديث الولادة، فقط، مجموع الخدمات البيولوجية وشبه البيولوجية التي تحفظه حيّا، وتشارك في نموه، وتدفع عنه الاخطار الخارجية. بل هي، وعند مرحلة نمو معينة حددتها الطبيعة من خلال ملايين السنين، تبدأ عملية تقديم الطفل للمجتمع، او تقديم المجتمع اليه. وهنا تبدأ عملية الاتصال الاجتماعي **social communication** التي يبدا الطفل من خلالها التعرف الى البيئة المحيطة به من سواكن واحياء.وبتقدم عمر الطفل،يأخذ الاتصال شكل النقل المعلوماتي/المعرفي:النظري والتجريبي من كبار افراد الاسرة(الام، الاب،الأخ/الاخت الاكبر)الى الطفل.وهكذا يحفظ المجتمع عملية التواصل بين الاجيال[٢].

وقبل التوصل الى عقدتيّ "اوديب" و "الكترا" يكون الابن اقرب الى الاب، والبنت اقرب الى الام. والاتصال الشخصي بين الاب والابن بنقل معلومات الاب وخبراته وتجاربه الى الابن يؤدي الى تحفيزغريزة التقليد في الابن، والى دخولها شكلية التقمص الوجداني **Empathy**، حيث يتمكن الابن/الفرد ان يَخْبَرَ خبرات الآخرين في الجماعة، وهنا الاب. وان ينظر الى نفسه من خلال الاب/الآخر[٣].

الفرد والقيم: اذا كانت الاسرة هي "الجماعة الأولية" الاولى التي يستقي منها الفرد/الطفل بدايات معارفه وقيمه، فان "جماعات اولية" اخرى تبدأ بالتاثير عليه: الاقارب، الجيران، المدرسة ابتداءاً من مرحلة الحضانة... الخ.

---

[١] الانا وميكانزات الدفاع: التصدير ص١-٣.

[٢] ظ. الاتصال والتغير الثقافي ص٥.

[٣] ظ. صن ص ١٦. والسلوك الاجتماعي لفرد ... ص ٥١-٥٢.

ان الفرد، في العادة، يتبنى قيم مجتمعه ويدافع عنها "وإن نشاة الفرد في الجماعة، وارتباطه بها، ونموه في اطارها، يؤدي به الى ان يتبنى مستوياتها وسلوكها والدفاع عنها"[١]. والاسرة والجماعات الاولية الاخرى، تراقب التزام الفرد بالقيم المجتمعية بما يحفظ التوازن الاجتماعي. "ان الجماعة الاولية هي التي تضبط السلوك، وتُغيّر الاتجاهات، وتؤدي الى قرارات مشتركة"[٢].

الاسرة وثقافة المجتمع: يدخل الاستهواء **Suggestion** ضمن الميكانيزمات النفسية/الاجتماعية التي زودت بها الطبيعة الكائن البشري لتسهيل عملية النمو والتأقلم مع المجتمع وافراده. ومفهوم الاستهواء: تقبل كثير "من الافكار والآراء والعقائد، دون ان تتوفر اسباب منطقية تحمل على ذلك... فنحن نؤمن بكثير – منها – اذْ انها انتقلتْ من مصادر لها مكانة في نفوسنا كالآباء والمدرسين..."[٣]. ولما كانت الاسرة "الوعاء الثقافي الاول الذي يشكل حياة الفرد، ويتناوله بالتربية بما فيها من علاقات وانماط ثقافية تعبر عن الثقافة الام". فالطفل "ينظر الى الميراث الثقافي من وجهة نظر اسرته، فيتعلم منها الرموز واللغة الشائعة... ثم أن اختياره وتقويمه للاشياء يتاثر بنوع اختيار اسرته"[٤].

الابن ومهنة الاب:لاحظ علماء الاجتماع ان هناك ميلاً عَبْرَ العصور،لان يمتهن الابنُ مهنةَ أبيه.وقد قامت دراسات حول "الحراك المهني بين الاجيال" **Intergenerational occupational mobility** الذي يتم "عن طريق مقارنة مهنة الابن بمهنة الاب، وفي بعض الاحيان بمهنة الجد. وقد يطلق عليه بعض الباحثين اصطلاح "التوريث المهني**occupational Inheritance**".

---

١ السلوك الاجتماعي للفرد ص٤٧، ٥٢.

٢ السلوك الاجتماعي للفرد ص٤٧، ٥٢.

٣ الاتصال والتغير الثقافي ص٤٣.

٤ السلوك الاجتماعي للفرد ص١٢٠، ١٢١.

ويكون محل المقارنة هو التماثل أو التباين بين مهن الأبناء – وبين مهن – الآباء والاجداد. فكلما زاد التباين، اشار ذلك الى قدر ملحوظ من الحراك المهني"[١].

٤. تقسيم العمل الطبقي Classificational Division of Labour: أعدّ التخصص الاسري العلمي نوعا من التقسيم الطبقي والفئوي للعمل. ذلك التقسيم الموغل في القدم الذي – بعد ان أتمّ عملية التقسيم حسب الجنس – قام بتقسيم العمل الذكوري على طبقات: الكهانة: التي تنحصر في عائلة توارثية، يكون رأسها ثلاثي الشخصية،فهوالكاهن والساحروالطبيب،السلطة(السياسيةوالعسكرية)، الانتاجية:التي تكون مهمتها انتاج السلع والخدمات التي تشبع حاجات افراد المجتمع.وتنقسم على:الزراعة وتربية الحيوان(مهمتها الحفاظ على بقاء الافراد)، والصناعة(غايتها تسهيل حياة الافراد). وفي مراحل متقدمة من ظهور المجتمعات المختلفة، بدأ تكونُ طبقةٍ انتاجية اخرى، هي طبقة التجار.

ولقد انقسمت طبقة الصناع بدورها على فئات، اختصت كل منها بمهنة معينة: الحدادة، النجارة، البناء... الخ. وكانت الفئة الواحدة من هذه الفئات مرتبطة دموياً، حافظت على سيطرتها في تخصصها بما سُمي، في عصور متقدمة بـ "قوانين الطوائف" وهي كما يقول الانثروبولوجي الاجتماعي البريطاني(نادل):هي "جماعات متماسكة لاتعطي المجال لأي شخص خارجي حق الانتماء اليها.وتضع مقاييس واحكاما صارمة بغية تحديد فعاليات اعضائها"[٢].واحاطت كل طائفة مهنتها بهالات من الاسرار والطقوسية، تمثل في الواقع، أسيجة حماية من الاختراق الخارجي. وقد غالت بعض هذه الطوائف في طقسيتها فآلت الى حركات سرية. وتحسن الاشارة الى ان نظام الاصناف عُرف وبقي معمولاً به في الحضارة العربية –الاسلامية وليست الاسر العلمية التي اختصت كل منها بفرع من فنون المعارف الانسانية: الشعر، الفقه، الحديث، الطب... الخ، الاّ مثالاً لتقسيم العمل الفئوي. غير انه غير معترف به، دراسياً في الاقل.

---

[١] دراسات في التغير الاجتماعي ص٨٤.

[٢] معجم علم الاجتماع ص١٢١.

٥. الاحتكار العلمي Sciential Monopoly: قد يبدو المصطلح غريباً. على انه لايعني، بأي حال من الاحوال، حجبَ العالِم العِلمَ عن طلابه او المحتاجين اليه. فغاية العالم ان يفيد المجتمع بعلمه سواء اللغَوي أو الفقهي او الرياضياتي او العلاجي... الخ، ونقل هذه المعارف الى التلامذة. لكن المقصود ان الاسر العلمية حاولت حصر "العلم" في افراد قلائل، هم في الغالب، افراد الاسرة نفسها، بما خلق احتكارية(اوليكاركية) علمية. وكما تفعل الاوليكاركية في مجالات السلطة السياسية والعسكرية، والدين والاقتصاد، فقد فعلتْ في العلم. ذلك انها اسست ما يشبه احتكار قلة((**Oligopoly** علميا متخصصا.

وعلى طول تاريخنا– بل كل التواريخ–السياسي والاجتماعي والعلمي، أمثلة لاتقع تحت قابلية الحصر، لاستعمال كل اصناف الاحتكارات، وبضمنها الاحتكار العلمي، اساليب الاحتكار الاقتصادي، وهو اهم اشكال الاحتكار. بل هو المَعنِيُ عند استعمال مصطلح(احتكار) وان كنا استعرناه الى مجال العلم "فنحتنا" مصطلح "الاحتكار العلمي". اقول ان هذا الاحتكار الاخير مارس طرائق الاحتكار الاصلي من سيطرة وضم... وحتى ابادة. وليست قصة اسحاق بن ابراهيم الموصلي– غير الموصليين– مع "زرياب" ببعيدة عن الاذهان.

٦.اثبات الذات: ان التخصص العلمي، والاحتكار التخصصي يمثلان اعلى مظاهر وسائل اثبات الذات لفئات غريبة عن المجتمع إنْ قومياً او دينياً. وحتى في حالة انسجام القومية والدين مع مثيليهما في المجتمع، فقد تكون الاسر هذه قد اتت من اماكن اخرى، واستقرت في مجتمعات جديدة. وتريد هذه الفئات تكوين مراكز قوى(علمية) مقابلة لمراكز القوى السلطوية، بما يجعلها مقبولة في المجتمع، بل مرغوبا بها. ومن ثم تصير الى تشكيل مراكز قوى اجتماعية، وحتى سياسية، كما تخبرنا المصادر التاريخية.(ابراهيم الموصلي ؟ وابنه اسحاق وحفيده حماد. البرامكة... وغير ذلك بما لايقع تحت حصر).

بل نكاد نلمح في عملية "توريث العلم" والمنصب العلمي والسلطة **Imperium** العلمية، محاكاة ومنافسة لعملية توريث السلطة/الحكم. فاذا كانت

الاسر الحاكمة تتداول السلطة: الخلافة، ولننظر الى الخلافة العباسية التي توارثت السلطة من اسرة عربية قرشية هاشمية عباسية واحدة. واستمرت في الحكم من ١٣٢ –٦٥٦ هـ/٧٤٩ –١٢٥٨م. أي ٥٠٩ سنوات ميلادية = ٥٢٤ سنة هجرية. واذا كان "قد ولي وزارة من آل خاقان اربعة وزراء في سبعين عاما. وكذلك تقلد اربعة من بني الفرات الوزارة في خمسين سنة"[١]. واذا كان الامراء والولاة والقادة العسكريون يتوارثون المناصب ابنا عن اب، فان الاسر العلمية تتداول الطب وعلوم الاوائل والفقه والشعر.... الخ وراثة.

وبالموصل بقيت اسرة الشهرزوري بين ق ٥ –٨ هـ تنجب قضاة، وقضاة قضاة وفقهاء شافعيين[٢]. وظلت اسرة آل منعة ترفد الموصل والحضارة العربية – الاسلامية برجال افذاذ استمروا(يحتكرون العلم) بين ق ٦ – ١٠ هـ[٣].

المبحث الثالث

امثلة من الاسر العلمية الموصلية

ملاحظة: حول تراجم اعلام الموصل، ساكتفي بالاحالة الى بسام ادريس الجلبي: "موسوعة اعلام الموصل". وسارمز لها بـ(الجلبي أ. م) ،اما ما يخص جزيئات الترجمة، مما يحتاج الى تثبيت مصدر المعلومة، فسأحيل الى المصادر.

اولاً: الاسرة التميمية الحديثية

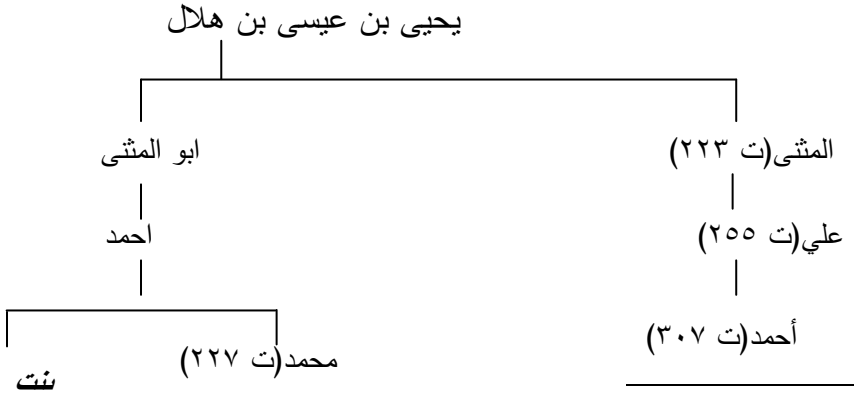

[١] الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١/١٧٤.

[٢] الجلبي: أ.م: كشاف الاحالات ٢/٤٠٧.

[٣] صن٢/٤٢٦–٤٢٧.مع ملاحظة عدم ظهوراسماع اعلام من ق٩ وآخر من ق١٠هـ.

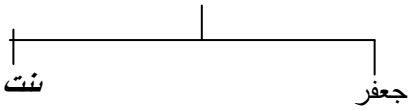
جعفر
نت

أصل الاسرة: اسرة عربية تميمية صليبة. يبدو ان(المثنى) أو احد آبائه سكن اما(١)(باباتاذ) نسبة الى محلة بمرو عند باب شارستان، على قول الخطيب البغدادي[١].(٢) أوسكن(بازبدا) من قرى الموصل او الجزيرة كما قال السمعاني وابن الاثير والحموي[٢]. واني اميل الى رأي الثلاثة المتأخرين عن الخطيب، في مقابل الواحد رغم قِدَمِه.

المثنى بن يحيى*[١](ت ٢٢٣ هـ/٨٣٧): ابو علي. محدث، تاجر. يبدو انه اول من قدم الموصل من هذه الاسرة، لغرض التجارة، ثم توطنها. وسمع من قاضيها علي بن مسهر(ت ١٨٩) ومن ابي شهاب عبد ربه بن نافع الخياط(ت ١٧١ – او – ١٧٢). وقد يكون سمعه بالموصل. رحل ابو علي الى بغداد للتجارة. وكان له هناك قدر[٣].

علي بن المثنى*[٢](ت ٢٥٥/٨٦٨): محدث. روى عن جرير بن عبد الحميد الضبي(ت ١٨٨)، الحسن بن موسى بن الحسن الاشيب – الموصلي–(ت ٢٠٩)، سفيان بن عيينة(ت ١٩٨) وهشيم بن بشير السلمي(ت ١٨٣). روى عنه ابنه احمد، ابو يعلى الموصلي.

محمد بن احمد بن ابي المثنى*[٣](بعد ١٨٠ –٢٧٧ هـ/بعد ٧٩٦ – ٨٩٠ م): ابو جعفر، شيخ الموصل المفيد. محدث، حافظ، فقيه حنبلي. خال ابي يعلى وصهره(تزوج عليٌّ ابو احمد ابنة ابن عمه احمد –اخت محمد – فصار محمد خال احمد(ابي يعلى). وتزوج ابو يعلى ابنة خاله محمد – اخت جعفر– فصار ختنه.

---

[١] تاريخ بغداد(تب تاليا)١٣/١٧٠.وباباتاذي:نسبة الى محلة بمرو عند باب شارستان[هـ١ من المصدر].ويسميها السمعاني(باربابا ذ:نسبة الى محلة بمرو عند باب شارستان [الانساب١/٢٦٦]ويسميها ابن الاثير(باربا ذ)ويعرف مثل السمعاني[اللباب ١/٧٦].ولاوجود لاي من هذه الاسماء الثلاثة عند الحموي في(معجم البلدان).

[٢] الانساب ١/٢٦٧. اللباب١/٧٦–٧٧. ويرسمها الحموي(بازَبَدَى): كورة قرب جزيرة ابن عمر [معجم البلدان ١/٣٢١].*[١] الجلبي: أ. م ٢/٥٨.

[٣] تب ١٣/١٧١*[٢]الجلبي أ. م ١/٤٨٠ *[٣] صن ٢/٦٧–٦٨.

ومحمد سمع من جماعة، وصحب الامام احمد بن حنبل(ت ٢٤١) وتفقه به، ونقل عنه مسائل. روى عنه ابن اخته ابو يعلى الموصلي. ومؤرخ الموصل ابو زكريا الازدي(ت ح ٣٣٤). الذي روى عنه في الجزء الثاني من "تاريخ الموصل" اكثر من ثلاثين مرة. وقال "كان من اهل الفضل والفقه. ومن آدب من راينا من المحدثين ... وكانت الرحلة اليه بالموصل بعد علي بن حرب"[١].

احمد بن علي بن المثنى[٤*](ابو يعلى الموصلي)(٢١٠ – ٣٠٧ هـ/٨٢٦ –٩٢٠): أحد اعاظم المحدثين في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية: حافظ، فقيه، مؤرخ. ولد بالموصل(١٣ شوال/٢٦ كانون الثاني). بدا رحلته العلمية في سن(١٥). وقد لانبالغ اذا قلنا انه روى عن مئات من الشيوخ، وسمعه اكثر من ذلك[٢].

اراء المؤرخين ونقدة الحديث فيه: ابو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة(ت ٣٠١): خاطب ابا يعلى قائلاً: "انما رحلت اليك لاجماع اهل العصر على ثقتك واتقانك". ابو حاتم بن حبّان البستي: روى عنه، وقال في حقه: "هو من المتقنين المواظبين على رعاية الدين واسباب الطاعة، ثم بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة انفس".

مصنفاته: ١. المسند: اطنب نقدة الحديث في الثناء عليه جدا: ابو عمرو محمد بن احمد بن حمدان الحيري(ق ٤ هـ) قيل له: "كيف تفضل ابا يعلى على الحسن بن سفيان – ت ٣٠٣ – ومسند الحسن اكبر، وشيوخه اعلى ؟". قال: "لأن ابا يعلى كان يُحدِّث احتسابا، والحسن بن سفيان كان يحدث اكتساباً". قال اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي(ت ٥٣٥): "قرأت المسانيد كمسند المعدني ومسند أحمد بن منيع، وهي كالأنهار، ومسند ابي يعلى كالبحر يكون مجتمع الانهار". وقد حقق الاستاذ حسين سليم اسد مسند ابي يعلى تحقيقا وافيا، ابتداء من سنة ١٩٨٤، وانجز حتى مطلع التسعينات ١١ جزء منه في(٥٤٣٠ ص) اشتملت على نحو(٦٦٠٠ حديث). ٢. المسند الصغير ٣. مسند المغاربة ٤. معجم

---

[١] سير اعلام النبلاء ٤١٢/٨ [٤*] الجلبي أ. م ١١٢/١–١١٣.

[٢] حول شيوخه وتلامذته ظ.ابن حبان:"الثقات:في كثير من صفحات اجزائه الاخيرة.وسير اعلام النبلاء٩/١٠٠–١٠٣.

شيوخه – في ٣ جد – ويُعد ابو يعلى اول من استعمل لفظ "المعجم" ليكون مصطلحا يدل على قائمة الاسماء المنسقة همز بائيا في علم التراجم والطبقات، في الثقافة العربية الاسلامية. ٥. لنور الدين علي بن ابي بكر بن سليمان الهيثمي(ت ٨٠٧) كتاب "المقصد الاعلى في زوائد ابي يعلى". وهو تخريج ما في مسند ابي يعلى من الاحاديث الزائدة على الكتب الستة.

توفي ابو يعلى بمدينته – الموصل– التي اعلنت يوم دفنه يوم حداد رسمي عام. واشترك في جنازته اغلب الناس القادرين من رجال ونساء.

ثانياً: الاسرة الطائية الحديثية

مازن بن الغضوبة

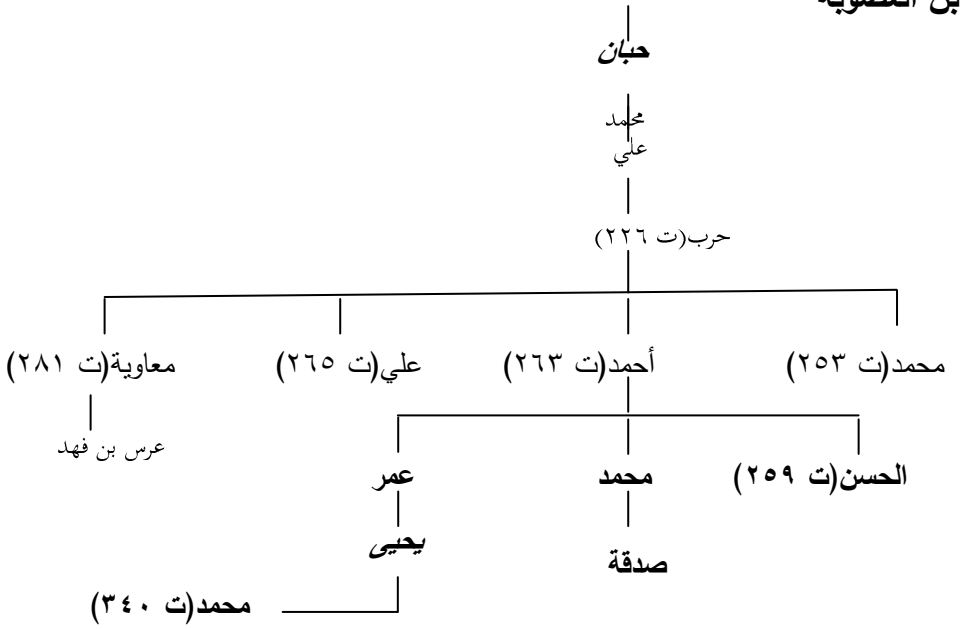

اصل الاسرة: اسرة عربية طائية. رأسها، بالنسبة لدراستنا، هو حرب بن محمد بن علي بن حبان. غير ان اهمية هذه الاسرة ترجع الى ان جدها الاول كان صحابيا، وهو:

مازن بن الغضوبة[١]: الطائي الخِطامي. كان يسدن صنما بقرية من ارض عُمان، فلما سمع بظهور النبي ﷺ كسر الصنم، ووفد على النبي ﷺ واسلم. وعُدّ من اوائل المسلمين. دعا النبي الله ان يهبه ولدا، فانجب:

حبان[٢]: لانعرف عنه شيئاً، سوى ان الله تعالى رزقه اباه بدعوة رسوله ﷺ. وقد وهم السمعاني، وعده هو الوافد على النبي.

محمد بن علي بن حبان: كان صاحب اردبيل(من اشهر مدن اذربيجان). ويظهر انه كان يميل الى الخوارج، واقدم على عمل عسكري نصرة لهم[٣].

ابنه حرب[*٥](ت ٢٢٦ هـ/٨٤٠ م). يبدو انه كان يشغل منصبا اداريا في بعض اقاليم اذربيجان في الربع الاخير من ق ٢، اذ ان ابنه(علي) ولد باذربيجان. وقد انتقل حرب باولاده: محمد(ولد ؟) واحمد(ولد ١٧٤) وعلي(١٧٥) الى الموصل، في النصف الاول من الثمانينات ق٢. وسرعان ما غدا حرب بن محمد الطائي احد شخصيات الموصل المهيمن. ففي سنة ١٩٤ نجده يدافع عن اهل الموصل، عندما ثاروا على واليهم سيء السيرة(ابراهيم بن العباس) أمام مبعوث الخليفة محمد الامين الذي أوفد الى الموصل للتحقيق في امر الاضطرابات "فتجلت عن اهل الموصل"[٤]. وفي سنة ٢٠٢ تمكن حرب بلباقته من التخلص من بطش زعيم الخوارج: مهدي بن علوان الشاري، الذي سيطر على الموصل لمدة قصيرة[٥]. وحرب الى جانب شخصيته الادارية، فقد كان محدثا، روى عن المعافى بن عمران

---

[١] عجالةالمبتدي وفضالة المنتهى في النسب ص٥٥.ابن الاثير(١)اسد الغابة٥/٦-٧.(٢)اللباب ٢/٦٩، ٢٨٥.ابن كثير ٢/٣٣٨،٣٣٧(ويسميه:مازن بن العضوب).

[٢] الانساب ٥/٤٧٠. اللباب ٢/٤٢٣. ابن كثير ٢/٣٣٨.

[٣] الازدي ص ٣٤٥ *[٥] الجلبي أ. م ١/١٩٦-١٩٧.

[٤] الازدي ص ص ٣٢٢/٣٤٥.

[٥] الازدي ص ص ٣٢٢/٣٤٥.

الموصلي(ت ١٨٥)[١]. وفي سنة ٢١٤ استقدمه الخليفة المأمون الى دمشق لقياس مساحة بلاد الشام، مع علماء مواصلة وجزريين. استعفوا من المأمون فاعفاهم[٢]. سنكتفي بترجمة واحد من ابناء حرب والذي هو علي. ونترك ابناءه الاخرين(محمد، احمد، معاوية. وابن علي: الحسن. وحفيديه: صدقة بن محمد ومحمد بن يحيى)[٦*].

علي بن حرب بن محمد[٧*](١٧٥ – ٢٦٥ هـ/٧٩١ –٨٧٨م). ابو الحسن: محدث، مؤرخ، اديب، شاعر. قام برحلات علمية بدأها مع ابيه، بعد ان شبّ. فانطلقا من الموصل، وتسنى له خلال الرحلة هذه وما تلاها، السماع من عشرات الشيوخ، كان بعضهم اشهر محدثي ق ٢ و٣ هـ، في طليعتهم الامام احمد بن حنبل(ت ٢٤١) وسفيان بن عيينة(ت ١٩٨). وسمع من الموصليين او المقيمين بالموصل: الحسن بن موسى بن الحسن الاشيب(ت ٢٠٩)، زيد بن يزيد بن ابي الزرقاء(ت ١٩٤)، عمر بن ايوب العبدي(ت ١٨٨) والقاسم بن يزيد الجَرْمي(ت ١٩٤). وروى عنه الكثير من المواصلة وغيرهم[٣].

واذا كان كل من جدِّ عليٍّ وابيه قد مارسا نوعا من السيادة باي من الاعتبارات. فلم يُحرم عليٌّ نفسُه من الاتصال باحد خلفاء بني العباس، وهو المعتز(خلافته ٢٥٢ – ٢٥٥). فقد التقاه سنة ٢٥٤ بسر من رأى، وكتب الخليفة العباسي عن شيخه الموصلي، واطعمه على مائدته "واوغر له ضياع حرب كلها،

---

[١] تهذيب ابن عساكر ٤/١١٠–١١١.*[٦] الجلبي أ. م –على التوالي– ٢/٩٩، ١/١٠٠، ٢/٢٦١، ١/٨٨(وقد ورد –خطأ– تحت اسم ابو الحسن)، ١/٣١٥، ٢/٢٠٧. *[٧] صن ١/٤٥٦–٤٥٧.

[٢] تهذيب ابن عساكر ٤/١١٠–١١١.*[٦] الجلبي أ. م –على التوالي– ٢/٩٩، ١/١٠٠، ٢/٢٦١، ١/٨٨(وقد ورد –خطأ– تحت اسم ابو الحسن)، ١/٣١٥، ٢/٢٠٧. *[٧] صن ١/٤٥٦–٤٥٧.

[٣] حول شيوخه وتلامذته ظ.تب ١١/٤١٨–٤١٩. سير اعلام النبلاء ٨/١٢٧. تهذيب التهذيب ٧/٢٩٥.

فلم يزل ذلك جارياً الى ايام المعتضد"[١]. وبالمقابل، فقد اثنى المحدث الموصلي على الخليفة خيرا[٢].

كان علي مؤرخاً، روى عنه الطبري خمس مرات[٣] والازدي نحوا من(١٤) مرة[٤].

أراء المؤرخين ونقده الحديث في علي بن حرب:

أثنى المؤرخون والمحدثون ونقده الحديث وخبراؤه على علي بن حرب. نذكرهم همزبائياً:

ابن الأثير "كان اماما في الحديث" ابن حبان: ذكره في "الثِقات". ابو حاتم الرازي: كتبَ عنه، وقال "صدوق" الخطيب البغدادي: "كان ثقة ثَبْتا". الدار قطني ومسلمة بن قاسم: "ثقة". الذهبي: "الأخباري، مُسند الموصل". ابو سعد السمعاني: "كان ثقة صدوقاً". وقال النسائي: "عليٌّ بن حرب موصلي صالح".

مصنفاته:(١) جزء علي بن حرب[٥]. وصفه(سزكين) بانه جزء صغير في الحديث بظاهرية دمشق، ضمن مجموع من ق ٦ هـ، برقم ٥/٦٧، ٧٣(من ورقة ٧٥أ – ٨٢ ب)[٦]. وقال الباشا البغدادي "صنف اجزاء في الحديث"[٧].(٢) المسند "تصنيف الحديث" ذكره كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين[٨]. ويبدو انه لم يصلنا.

الرواية بين افراد الاجيال من الاسرة الطائية:

---

١ تب ٤١٩/١١.

٢ تاريخ الخلفاء ص٣٥٩.

٣ ظ. فهارس الطبري ٣٤١/١٠.

٤ ظ. فهارس الازدي ص ٤٦٠.

٥ كشف الظنون ص٥٨٨.

٦ سزكين ٣٧٣/١/١.

٧ هدية العارفين ٦٧٣/١.

٨ تب ٤١٩/١١.المنتظم٥/٥٢.تهذيبالتهذيب٢٩٥/٧.شذراتالذهب١٥٠/٢.الاعلام ٢٧٠/٤.معجم كحالة ٥٧/٧.

١-(أ) علي بن حرب "روى عن ابيه"[١].(ب) يمكن افتراض ان اخوة علي الثلاثة: محمد، احمد ومعاوية رووا عن ابيهم.

٢- علي بن حرب روى عن اخيه أحمد[٢].

٣-(أ) علي بن حرب روى عن ابنه الحسن(مات قبله بست سنوات)[٣].(ب) علي بن حرب روى عنه ابنه محمد[٤].(ج) يمكن افتراض ان ولديّ علي بن حرب الآخرين: الحسن وعمر رويا عن ابيهما.

٤- صدقة بن محمد بن علي روى عن جده علي بن حرب[٥].

٥- محمد بن يحيى بن عمر حدّث عن جده عمر وابي جده علي بن حرب[٦].

٦- روى عن علي بن حرب ابنُ اخته ابو جابر عرس بن فهد بن احمد الموصلي[٧].

ثالثاً: الاسرة الخالدية الادبية

هاشم بن وعلة الخالدي

ابو بكر محمد(ت ح ٣٨٠)*[٨] ابو عثمان سعيد(ت ح ٣٩٠)

رشأ غلام الخالدي(ت ح الربع الأول من ق ٥ هـ)

---

[١] تهذيب التهذيب ٢٩٥/٧.

[٢] الجلبي أ. م ١٠٠/١(في تر. احمد).

[٣] ابن الاثير ٣٧٠/٥.

[٤] طبقات الحنابلة ٢٢٣/١.

[٥] الازدي ص٣٤٣، ٣٤٥.

[٦] ب٤٢/٣.الانساب٤٧٠/٥.اللباب٤٢٣/٢.العبر ٦١/٢.تهذيب لتهذيب٢٩٥/٧.الشذرات٣٥٨/٢.

[٧] تهذيب التهذيب٢٩٥/٧.*[٨]الجلبيأ. م١٢٦/٢-١٢٨(تحت اسم محمد وسعيد ولدا هاشم بن علة).

تناولنا هذه العائلة الادبية، رغم اقتصار عدد افرادها على اثنين، لفرادتها التاريخية والادبية. فنحن هنا إزاء اسرة لانعرف شيئا عن مؤسسها الخالدي. ولكن نعرف ان الاخوين ولدا في العقد الاول من ق٤ تقريبا في الخالدية: احدى قرى شرقي الموصل، وعاشا بالموصل، وبها اخذا اولى معارفهما.

ان ما يميز حياة هذين الاخوين(أمرٌ) هو بسيط من ناحية، ومعقد من أخرى. انهما ببساطة(توأمين سياميين ادبيين).تتعذر دراسة حياتهما على انفصال. سافرا معا في بداية حياتيهما الى بغداد، ودرسا على اساتذة باعيانهم.وحضرا منتديات العلم والادب والشعروالسياسةايضا.وعادا الى بلدهما: الموصل شاعرين مثقفين يتغنيان بمرابع وربيعات مدينتيهما. يصادقان شاعرا، ويُناكدان آخر. وتشاء الصدف ان يكون هذا "الآخر" هو السرّي الرّفاء الموصلي(ت ٣٦٢). الذي طرداه من البلاط الحمداني الموصلي، وطارداه الى البلاط الحمداني التوأم. وعملا على ازاحته منه. وتبوءا امانة خزانة كتب سيف الدولة الحمداني(ت ٣٥٦) في ذات الحقبة التي كان فيها امير الشعراء العرب على مدى العصور:المتنبي(قتل ٣٥٤) نجم البهو الادبي للبلاط الحمداني بين سنتي ٣٣٧ – ٣٤٦. وعندما صار السرى الرفاء ببغداد مقربا من رجليّ السياسة والثقافة: الوزير المهلبي(ت ٣٥٢) وابراهيم بن هلال الصابئ الحراني(ت ٣٨٤) صار الخالديان ببغداد كلعنة جهنمية، أو فيروس كومبيوتر – كما نقول في لغتنا المعاصرة – لينهيا كل اتصال بين غريميهما وبين رجال السياسة والثقافة والمال بشكل اكثر اهمية. وحولاه الى(جلد) يتلحف باسمال متهرئة، يعيش على(صدقات) النساخة.

الى هنا تبدو امور الخالديين طبيعية. فما وجه الغرابة في الدراسة على نفس الاساتذة. وباستاذ واحد يتخرج مئات التلامذة، قد يُصبح البعض منهم، في قابل الايام، اساتذة ! وليس عجيبا ان يتّحد اخوان ضد شاعر، وجرير(ت ١١٠)، كما تقول الاساطير الادبية العربية، ناضل ثمانين شاعرا ! وان يعمل اخوان في "ورشة" واحدة امر أقل واكثر من طبيعي. وما غاية بحثنا، من بعض الوجوه، الا

إرادة تبيان العناصر التي تؤدي الى التشابه بين الميول التأهيلية بين افراد الاسرة الواحدة، وتحويل هذه الميول الى ممارسة مشتركة.

لكن، ومنذ العام ٣٥٢ تقريبا، وهي سنة وفاة الوزير المهلبي راعيهما السياسي والجاهوي والمالي، بالدرجة الاولى، تختفي سيرة حياتهما العادية، ليبدءا مرحلة الانتاج الفكري. وهنا ينقلب الاخوان الخالديان الى توأمين سياميين فكريين. فكل ما انتجاه من مصنفات شعرية او تاريخية شعرية أو جمع دواوين شعراء سبقوهما كانت نتاجات مشتركة. وحتى هنا فنحن لانزال في حيّز المعقولية.ففي العصر الحديث اشترك الاخوان العوادان:كوركيس(ت ١٩٩٢)وميخائيل(ت ١٩٩٤)الموصليان، في اخراج كتب ببلوغرافية سوية. لكن ما يميز الموصليين المعاصرين من الموصليين القديمين ان لكل من الاستاذ كوركيس كتبا الفها أو حققها بنفسه. وقل مثل هذا حول الاستاذ ميخائيل.

الا ان الفريد في انتاج الخالديين، هو نظمهما المشترك للشعر. بشكل يتعذر على الباحث نسبة هذه المقطوعة او تلك المجموعة من الابيات لواحد منهما. وعلى صفحات كتب الادب والشعر والتاريخ الادبي، تطالع القارئ عبارة غامضة: "قال الخالدي": دون استطاعة نسبة الشعر لواحد من الخالدي/ين. الامر الذي انتبه اليه مبكراً الشاعر الفيلسوف ابو العلاء المعري(ت ٤٤٩) فيقول: "ولهما ديوان يُنسب اليهما، لا ينفرد احدهما بشيء دون الآخر الاّ في اشياء قليلة، وهذا يتعذر في وُلد آدم، اذ كانت الجبلة على الخلاف وقلة الموافقة"[١].

ولعله يلزم القول ان هذين الشاعرين الرقيقين والفحلين في آن، كانا مصابين بداء السرقة الجيني، اذ لم يدعا شاعرا معاصرا لهما او قديما الاّ انتحلا ما طاب لهما من شعره. وفي هذا يقول ابن النديم: "وكانا، مع ذلك، اذا استحسنا شيئا غصباه صاحبه حيا او ميتا. لاعجزا منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كانت طباعهما"[٢]. ومع ذلك فقد تعرضا نفساهما للسرقة، على يد غريميهما السري

---

١ رسالة الغفران –ط٤ – ص٤٢٤.

٢ الفهرست ص٢٤١.

والرفاء الذي أقدم، كاجراء انتقامي، الى انتزاع قلائد شعريهما، واضافها الى ديوان صديقه(كشاجم)– ت٣٦٠– وهكذا اختلطت الاوراق الشعرية لشعراء فحول تصرفوا كسوقة.

مصنفات الخالديين:

اولا: المطبوعة: ١. "الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين" ٢ج. القاهرة ١٩٥٨ و١٩٦٥ ٢. "التحف والهدايا" القاهرة ١٩٥٦ ٣. "ديوان الخالديين" دمشق ١٩٦٩ ٤. "المختار من شعر بشار" القاهرة ١٩٣٤ ثم بيروت ١٩٦٣.

ثانيا: المخطوطة او المفقودة:١. اختيارات من اشعار: ابن الرومي، ابن المعتز، البحتري، الخباز البلدي ومسلم بن الوليد.٢. يُنسب لهما كتاب "اخبار الموصل"٣."الديارات" بقيت منه شذرات في معجم بلدان الحموي(ت ٦٢٦) مسالك ابن فضل الله العمري(ت ٧٤٩).

رشا[١]/غلام الخالدي: اذا كنا قد اتينا على سيرة اسرة علمية موصلية، فيها فرادة وغرابة. فلنستمر باضافة غرابة من عندنا، وذلك أن نَعِدَّ غلام احد الأخوين بمثابةِ ولدٍ له:

انه(رشأ) غلام الأخ الاصغر ابي عثمان سعيد الخالدي. ولكي ننأى بانفسنا عن تهمة الاقحام والتعسف، سنورد بيتيّ شعر قالهما الخالدي– من قصيدة دالية من ١٩ بيتا – يصف فيها غلامه، ردّا على سؤال احد المتأدبين يسال عنه– عن غلامه – رشأ –:

ما هو عبدٌ لكنه وَلَدُ خوّلنيه المهيمن الصَمَدُ

وشدَّ أزري بحسن صحبته فهو يدي والذراعُ والعَضُدُ

[١] الجلبي أ م ١/٢٦٠-٢٦١.

ها نحن انسحبنا من اقتحامنا لخصوصيات هذه الاسرة، وتركنا صاحب الشان "يتبنى" غلامه. اما نحن فنورد اشياء حول هذا الغلام، الذي وصفه الثعالبي(ت ٤٢٩): "يُضرب به المثل في الكياسة والشهامة والنفاذ في حسن الخدمة، وجمع محاسن المماليك ومناقب العبيد"[١]. والذي يصفه سيده من خلال القصيدة الدالية ذاتها بانه: صغير السن، كبير المعرفة، حسن الاخلاق، مليح النادرة، مدبر البيت، أمين المكتبة، عارف بالشعر، نقادة. ومن أهم ما أنجزه هذا الغلام، هو انه جمع ديوان سيده(ابيه) عثمان واخي سيده(عمه) ابي بكر محمد في الف ورقة[٢]. هذا وقد تبوأ رشا، بعد وفاة سيده عثمان، منصبا اداريا في دولة بني عُقيل بالموصل. ويُفهم من قصة رواها الخطيب البغدادي ان(رشأ) رومي الاصل. وانه كان مغنيا، وكان بخيلاً لئيماً[٣].

رابعاً: اسرة السكري الطبية الموصلية – الحلبية

منصور السكري الموصلي

|

جابر(ق ٤-٥)

|

ظافر(ت ح ٤٨٥)

|

موهوب(ق ٥-٦)

|

جابر(ق ٦)

هذه اسرة طبية لم ينصفها التاريخ، ربما بسبب عدم خدمتها الخلفاء والامراء مثل آل بختيشوع. فما نعرفه عنها لايقرب من عشر معشار ما نعرفه عن "مسرور" سيّاف امير المؤمنين الرشيد. او عن "عبادة المخنث" النديم الرقيع لأمير

---

[١] ثمار القلوب ص ٢٢٩.

[٢] الفهرست ص ٢٤١.

[٣] التطفيل ص ٥٠.

المؤمنين(...) المتوكل على الله. ولولا ابن ابي اصيبعة(ت ٦٦٨) المؤرخ الطبي لغابت هذه الاسرة في مجاهل التاريخ.

جابر بن منصور[١](ق ٤-٥ هـ): هو مؤسس الاسرة. تتلمذ بالموصل على طبيبيها: احمد بن محمد بن ابي الاشعث ومحمد بن ثواب. وبرع في العلوم الطبية تشخيصا وعلاجا.

ظافر بن جابر[٢](ت ح ٤٨٥ هـ): ابو حكيم. كان مبرزا في الصناعة الطبية. عمل ببغداد مدة، ثم عاد الى الموصل، وواصل العمل بها طبيبا. ثم غادر الى حلب واستوطنها. له رسالة في "ان الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه". توفي بحلب مسناً.

موهوب بن الظافر – ظافر-(ق ٥-٦): ابو الفضل. كان فاضلاً في صناعة الطب. مشهوراً متميزاً. وكان يقيم بحلب. له "اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحاق"[٣].

جابر بن موهوب(ق ٦ هـ): كان مشهوراً في صناعة الطب خبيرا بها. واقام بحلب[٤].

---

[١] الجلبي أ. م١/١٧٦-١٧٧.

[٢] صن١/٣٢٥.(٣٠-٣١)عيون الابناء في طبقات الاطباء ص٦١٤.

[٣] عيون الابناء في طبقات الاطباء ص٦١٤.

[٤] عيون الابناء في طبقات الاطباء ص٦١٤.

Abstract

The Reasons behind the Scholarly Families With Reference to Mosuli Ones

Basām E. Al-Jalabi *

This study investigates the occupational inheritance system in the old Mosul families. Similarly, it studies the scholarly inheritance system and the reasons behind appearing of such scholarly families. Finally, the study introduces some examples of such inheritance.

* Lecturer- Dept. of History – College of Arts / University of Mosul.